# قراءتان
# في روايـــــة
# "ضـوء الكبريـت"

لمى عبد القادر
كلية الآداب - جامعة القادسيّة

خلاصة

قدّم هذا البحث تحليلا لرواية "ضوء الكبريت" لعبد الهادي الفرطوسي ، ساعيا الى الكشف عن المعنى الخفي الكامن وراء بنيتها الشكلية ، ومما لا بد من الإشارة إليه ان هذه الرواية قد اكتسبت بفضل اعتمادها أسلوب الخيال العلمي انفتاحا دلاليا ، فكان ذلك مسوّغا لقراءتها على وجهين ، فتلمّست القراءة الأولى الفكر الذكوري الذي كانت ملامحه واضحة على الرواية ، وقد ناقش البحث تاريخ الفكر الذكوري وهجاء الأنثى على امتداد العصور وربطها بما ورد في هذه الرواية .

غير أن البحث قد وجد أن الموقف من الأنثى بالصورة الواردة في الرواية كان ذا بعد رمزي سياسي ، فوجد في ذلك مدخلا الى القراءة الثانية ، التي كشفت عن كون الصراع بين الذكورة والأنوثة غطاء لصراع سياسي أعمق ، إنها تحيل الى أخطبوط العولمة وشبحها المرعب .

مدخل

لا يمكن لأيّة قراءة أن تزعم لنفسها الإحاطة الشموليّة بكل خفايا النص الروائي ؛ لأنها تشكّل جزء داخل الفضاء النقدي الخاضع للتبدّلات ، في إطار لا يعرف الكمال والثبات.

والرواية الفنطازية ذات طبيعة مطّاطية تعطي مساحات واسعة للاحتمال والتأويل ، ولمّا كانت الرواية الفنطازية تتغذّى من شرايين أدبية متنوعة، فإنّ رواية "ضوء الكبريت" لعبد الهادي الفرطوسي استثمرت الأسطورة الضاربة بجذورها في أعماق غائرة ، كما استثمرت أسلوب الخيال العلمي المعتمد على التعليلات العلمية المنطقية ، فمزجت بين الأسلوب الغرائبي المعتمد على التفسير فوق الطبيعي ، والأسلوب العجائبي المعتمد على التعليل العلمي[1] . ان استثمار الأسلوب الفنطازي وكسر الأسلوب التقليدي قد منح النص انفتاحا دلاليا ، فكان مسوّغا لقراءة هذه الرواية على عدة أوجه، فكان لهذا البحث أن يتضمّن قراءتين: تكشف الأولى عن هيمنة الفكر الذكوري وهجاء المرأة ، أما القراءة الثانية ففيها محاولة للوقوف على هدف أعمق يتناول الصراعات السياسية التي نتج عنها غول تحكّم بمصائر الكون برمته.

## القراءة الأولى

غاية هذه القراءة الكشف عن هيمنة الفكر الذكوري في رواية "ضوء الكبريت" للروائي عبد الهادي الفرطوسي ، وتلمّس جذورها التاريخية في الميثولوجيا القديمة ، والكشف عن التداخل النصي مع قصة آدم وحواء وذلك الإغواء الأسطوري الذي يهدف إلى ذمّ المرأة وعدها مصدرا للشرور.

تنسج الحكاية كيانها - كما يرى عبد الله ابراهيم - من مصادر

1 شعرية الرواية الفنتازتيكية :شعيب حليفي : ٢٣ .

مكثيرة : أبرزها الأساطير والخرافات والميثولوجيا القديمة[1] ،وبالرغم من أنّها تنتمي إلى المراحل الأولى لتكوّن وعي المجتمع البشري،إذ أنها غالبا ما تنطوي على شبكة من العلاقات الدلاليّة الخاصة تشي بهدف يأخذ سمة الحكم أحيانا.

ونظرا لما تقدّم ، يتبيّن من القراءة الأولى للرواية أنّ هناك تداخلا نصيًا بين قصّة آدم وحوّاء وبين بطلي الرواية في الأحداث والشخصيات والتسميات أيضا ، ولتلمّس مفاصل التناص بين الحكايتين لا بد من عرض موجز للرواية:

تبدأ الرواية برحلة فضائية إلى الكوكب "بلوتو" ، يقوم بها مجموعة من رواد الفضاء ، من بينهم صلصال وخطيبته لمياء ، وكان من المقرر أن يمكثوا هناك عاما كاملا ، لكن حدث أن تعرّضوا لهجوم من مجهول حاول منعهم من مواصلة الرحلة ، لئلا يتجاوزوا الحدود التي رسمها لهم عقل المجرّة ؛ إلا أن قائد المركبة رفض أن ينصاع للأوامر ، فقرر مهاجمة الشرطي الكونيّ وهو رسول عقل المجرّة فكان مصيره وجماعته الموت ، أمّا صلصال ولمياء اللذان بقيا داخل المركبة فقد تقرر نفيهما إلى الكوكب، جنان الذي يتناصّ مع الجنة في موروث الديانات الوحدانية، ومن هنا يبدأ الاقتراب من قصة آدم وحوّاء، فتتعرّف لمياء - التي تقابل حواء حتى في معنى الاسمين ، فكلاهما صفة للمرأة ذات الشفتين السمراوين - إلى كائن خبيث شبيه بالطاووس ، يقترب من شخصيّة إبليس باتصافه بالمكر والخديعة ، وتظلّ لمياء تقضي معظم وقتها برفقته .

بينما يتعرّف صلصال - الذي يقترب من شخصية آدم حتّى في معنى الاسمين حيث يدلّ الأول على الطين المفخور ويدلّ الثاني على التراب - إلى مخلوقات بالونيّة تقابل شخصيّات الملائكة ، كثيرا ما توصف بالودّية ،وهي

---

[1] ينظر المتخيل السردي : عبد الله ابراهيم : ١٧ .

تساعده وتعلّمه وتدلّه الكثير من الصعوبات التي تواجهه، وتبتدئ العلاقة بأن تأخذه إلى مركز الكوكب وهو القبّة الزرقاء ، التي تضمّ أحدث المراصد الفلكيّة وأدقّها ، وهناك يتعلّم صلصال الكثير الكثير من المعلومات ، بينما تظل لمياء تلهث وراء أكاذيب ذلك المخلوق الشبيه بالطاووس ، حتى صارت العلاقة بينهما شبه غرامية ، وهذه الصلة الشيطانية مع الكائن الخبيث جاءت على حساب وفائها لخطيبها ، فصارت تقضي معظم وقتها معه ، من دون علم خطيبها بالأمر ، مستغلة انشغاله عنها ، وتأتي صورة الكائن الخبيث مطابقة لما ذكره فراي عن كون المخلوق الذي يقوم بالغواية في الأساطير القديمة ذا شخصية خنثية[1]، فهو في الرواية طائر ذكر لكنه يتمتع بصفات أنثويّة: ريش زاهي الألوان جميل وعينين عسليتين تسحران الناظر لهما[2] ، دعاها هذا المخلوق إلى التمرغ بصحراء الكبريت لينقل لها أمراضه الخبيثة وغرائزه المتقدة... وذات مرّة وسوس لها ذلك الخبيث أن تفتح باب الأسرار القابع في القبة الزرقاء ، وأعطاها الرقم السرّي لفتحه ، وهرعت هي إلى صلصال ممارسة ذلك الإغواء الأسطوري فوقع في شباك إغوائها وذهب معها لفتح باب الأسرار، الذي يقابل الشجرة التي منع آدم وزوجته عن الاقتراب منها ... وما ان ضغطت لمياء على بعض الأزرار حتى انبلج الباب أمامهما كاشفا عن سلّم مسحور.

لكن الفرحة لم تكتمل ، فسرعان ما امتدّت اذرع المخلوقات البالونية تسحبهم إلى الوراء رامية إيّاهم خارج القبّة.

لقد ندم صلصال لأنه أصغى لخطيبته التي حرمته من أصدقائه الذين قاطعوه وأغلقوا بوجهه باب القبة الزرقاء ، وعبثا حاول الاعتذار منهم ، وما هي

---

1 ينظر تشريح النقد :٢١٦ .

2 ضوع الكبريت :٤٧ .

إلا أيّام حتى جاءت أوامر عقل المجرة تقضي بطردهما من الكوكب جنان وعودتهما إلى الأرض.

وحين وصلا إلى الأرض وجداها خرابا قد خسفت بأهلها ، فعادا إلى حياة الكهوف ، وهنا تصدق نبوءة العرافة التي افتتح بها الكاتب روايته إذ قالت : " - أمامك سفر طويل .تضعين قدمك على مسالك وعرة تسيرين نحو عالم خرب ،ظلام دامس رياح عاتية، لن تتزوجي الا بعد أن تعودي من رحلتك المضنية ، والرحلة تستغرق عشرة آلاف"[1]

كان هذا التصميم الذي أداه المؤلف ، إذ جعل البداية في علاقة تناظر مع النهاية ، نسيجا أسطوريا كما يرى فراي[2]

يظهر التناص بين قصة آدم وحوّاء و قصة صلصال ولمياء نصف مستتر ، إذ تتجلى ملامح ذلك التناص من خلال الأحداث وأسماء الشخصيّات وصفاتها التي ترشد القارئ إلى مرجعيّات النص.

جاء التناص هنا موازيا للنص المناصص - بحسب كريستيفا - إذ ظلّ المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه ، ولا يمنع هذا من زيادة أو إضافة إلى المعنى في النصّ الجديد[3] ، إذ تحيلنا المرأة الى الخطيئة ،في كلا النصّين فتتغلب الرغبة على الرجل ، ويأتي العقاب بالخروج من الجنّة ، ويتمثّل الإغواء بحواء ويكون الضحية الأولى آدم.

لكنّ النص الجديد يفترق عن النص المناصص بأمور ، منها:

١ إن الفردوس في ميثولوجيا الخليقة تمثل مرحلة الاستقرار والسكينة[4]،

---

١ضوع الكبريت :٣ .

٢ينظر تشريح النقد :فراي : ٢٠٢ .

٣علم النص : جوليا كريستيفا : ٧٩ .

٤ينظر تحليل النصوص الأدبية : ١٤٤ .

بعضهن الخطيئة وإنزال العقاب يتخلخل ذلك التوازن والاستقرار، ومحاولة إعادة ذلك التوازن والاستقرار شبه مستحيلة لأن العودة إلى الفردوس أمر مستحيل ، لكن حالة الاتزان في " ضوع الكبريت" كانت على الأرض وفي أوّل الرحلة ، وقد قوّضت السكينة وبدد الاتزان بعد ظهور الشرطي الكوني ومنعهم من مواصلة الرحلة وتهديده إياهم ، وقد ظلّت حالة انعدام الاستقرار وعدم التوازن قائمة حتى بعد وصولهما إلى الكوكب جنان ومكوثهما فيه لأنها ليست الحالة الطبيعية ،برغم محاولات التكيف مع الوضع الجديد وامتدت حالة عدم الاستقرار حتى حدوث الإغواء والخطيئة ثمّ الطرد من جنان والعودة إلى الأرض التي عاد معها الاستقرار بعد حفر أول كهف للإنسان الجديد.

٢- ندم آدم وحواء على فعلتهما وبكيا على طردهما من الجنّة ، وظلّ آدم يتحسر عليها حينما نزل إلى الأرض لكن صلصال لم يندم حينما طرد من جنان ، بل لأنه طرد من القبّة الزرقاء مركز المعلومات ، التي كانت تمدّه بأخبار الأرض وأهلها.

وأمّا العودة إلى الأرض فكانت هي الأمل المرجوّ ، واللحظة المرتقبة ، حتى أن فرح لمياء لا يوصف حين سمعت بنبأ العودة إلى الأرض .

يظهر من التناص الذي ساقه الكاتب أمران:

الأول : التركيز على فكرة الإغواء وممارسة لمياء له ، حتى صار الوظيفة الأساسية لها، وكلّ ما صنعته في الرواية هامشي لا قيمة له.

أما الثاني فهو جعل صلصال المحرّك الأول للأحداث آخذا دور الفاعلية في معظمها ، وجعله يتمتع بالذكاء الحاد ، فيتعلّم ويخمّن ويستنتج ويستنبط ويتمتّع بذاكرة حديدية، أما لمياء فقد كانت محطّ هجاء الكاتب ، يتضح ذلك من المقطع الآتي :

" - انظري ... ان الأجرام في سحابة المذنبات تخرج عن مدارها متجهة إلى الشمس .

ردّت بتذمّر ولا مبالاة:

- لتخرج .. وهل كانت من بقيّة أهلك ؟ هل تخشى أن تدهسها سيارة طائشة؟ [٢٠١]

وهنا كلام من غير الممكن ان تتفوّه به رائدة فضاء ، لكنه ألصق بلمياء إمعانا في تهميش دورها ، وتدليلا على سذاجة تفكيرها، لم يأخذ القارئ فرصته في استنتاج مدى غبائها ، وأكثر من ذلك أن الراوي الذي كان مصاحبا لصلصال قد صرّح عما يجول بذهن البطل : " أدرك مقدار السذاجة التي تتمتع بها خطيبته[٣٠] ولم تمارس لمياء فاعليّتها إلا في الإغواء الذي انحصر دورها فيه ، وما فاعليتها هنا إلا ذمّ لها ودليل على غباء وضعف تفكيرها ، بانصياعها لأوامر الكائن الخبيث ، وفي المرة الوحيدة التي يأخذ صلصال فيها دور المفعولية ، إذ يلّبي طلب خطيبته لا يجني إلا الخسارة والندم.

يتضح مما تقدم مدى هيمنة الفكر الذكوري في رواية ضوع الكبريت ، ومدى تهميش دور المرأة وتجريدها من الفاعليّة ،و عدها مصدرا للشرور والويلات ، علما ان هذا الفكر يستمدّ قوته من جذوره التاريخية الضاربة في القدم ، فترجع أصوله إلى أساطير قديمة.

فبعدما كانت الأنثى هي الإلهة الأولى دون منازع إذ نحت لها الإنسان قديما صنما بشكل امرأة مثّلت الإلهة الأم التي انتقلت عبادتها إليه من العصور السابقة[٤]، صارت تتصارع مع أبنائها الآلهة الذين أرادوا سلبها سلطانها ، فتظهر الأنثى في أسطورة الخليقة البابلية بصورة تيّامات إلهة الماء المالح التي يثور

---

٢ضوع الكبريت : ٥٨ .

٣نفسه :٥٩ .

٤ ينظر : الفكر الديني القديم :١٥ .

عليها أحفاده بقيادة مردوخ ذي القدرات الخارقة ، الذي يشترط على الآلهة مسبقا أن يتسلّم كل مقاليد السلطة ، مقابل قتاله لجنته تيامات . وهكذا دار أول قتال بين الذكورة والأنوثة ، بين الأحفاد والأجداد ، وبعد انتصار مردوخ شق جسم تيامات شقين ، رمى الأول إلى فوق فكانت السماء ورمى الثاني إلى تحت فكانت الأرض ، وخلط دم زوجها كنكو بتراب الأرض وخلق منه الإنسان[1] ..... هكذا جردت الأنثى من سلطانها بعدما كانت هي الإلهة الأم ذات الهيمنة المطلقة... لقد نتج هذا الصراع عن واقع سياسي واجتماعي جديد ، انهارت فيه قوى و هيمنت قوى جديدة ، وترتّب على ذلك ان تنطفئ عقائد وتولد أخرى ، فكانت هذه الأسطورة تعبيرا عن الوضع الاجتماعي الجديد ، وهيمنت الذكورة متمثلة بمردوخ.

وبقي الصراع مستمراً بين الآلهة الذكور والإلاهات الأناث ، فهذه عشتار التي تتصارع مع الذكور لتثبت وجودها، ولما كانت الأساطير قد نسجت على وفق الأعراف الذكورية فلم يكن نصيب عشتار إلا الذم والهجاء حتى عند انتصارها:

ففي أول معركة تخوضها مع الإله إنكي[2] ، في أسطورة "إنانا وإنكي" ، نجد فيها أن الإلهة إنانا/ عشتار تصارع الإله أنكي لتأخذ منه نواميس الآلهة والحضارة ، وتتمكن فعلا من أخذها ، لكن الأسطورة تشوّه هنا الانتصار حين تعلله بالمكر والخديعة[3].

وفي صراعها مع الإله دموزي زوجها ، حينما خرجت من العالم السفلي برفقة عدد من الشياطين ، فوجدت زوجها لم يحزن عليها ، فأوحت إلى الشياطين

---

١ ينظر جدل الأنوثة في الأسطورة : ٧٥ - ٧٧ : الأقلام : آذار - ٢٠٠٠ .

٢ إنكي إله الينابيع والحكمة ابن الإله آنو والإلهة كي.

٣ ينظر : عقائد ما بعد الموت : ٥٥ .

أن يأخذوه إلى العالم السفلي بدلا عنها، وتصوّر الأسطورة القحط الذي حلّ بعد رحيل الإله دموزي والشر والجوع اللذين ترتبا على فعلة عشتار[1] .

ولم يكتف الفكر الذكوري بهجاء عشتار من قبل الآلهة فقط ، وإنما جاءها التطاول والذمّ من أنصاف الآلهة أيضا ،إمعانا في التقليل من شأنها ، فهذا جلجامش يهجوها ويذكر عيوبها ، حينما دعته للزواج منها ، إذ أخذ يسرد عليها قصص عشاقها : دموزي الذي أرسلته إلى العالم الأسفل وراعي القطيع الذي مسخته ذئبا ، وإيشولونو[2] الذي صيرته ضفدعا[3] .

ولم يكتف الفكر الذكوري بهذا القدر من الإهانات التي تلقتها عشتار ، بل بلغت الإهانة حدّ التطاول عليها من قبل الإنسان ، فيجدها أحد الفلاحين نائمة في بستان فيتجرأ على اغتصابها ، فتنهض مذعورة من هذه الإهانة[4] .

ولمّا كانت الأسطورة - تقول نبيلة ابراهيم - ليست مجرد حكاية تؤلّف عمدا ، بل هي تعيش بالضرورة في عقل الإنسان - بحسب شتراوس - فهي " تمثّل جزء من الأشكال الأساسية التي ينكشف من خلالها بناء العقل البشري"[5] ، ويترتّب على هذا ان الأساطير والمفاهيم التي تحملها راسخة في ذهن الإنسان خلق من دم إله خاطئ "كنكو" - بحسب الأسطورة البابلية- فقد استقرّ الخطأ في اعماقه ، وبقي الاضطراب الأزلي والقلق لا يبارحه، وحلّ فيه الصراع بين الموت والحياة ، بين الذكورة والأنوثة ، وظل هذا الاضطراب بحكم العلاقة

---

1ينظر المصدر السابق :55 ، الميثولوجيا السومرية والخلق الأسطوري لكون : 86 .

2 إيشولونو هو بستاني الإله آنو جد عشتار.

3 ينظر ملحمة جلجامش : 90 - 93 .

4ينظر سفر سومر : 72 -73 .

5 الأسطورة : نبيلة ابراهيم : 20 .

... سانية بين النساء والرجال حتى هذه اللحظة[1]

هكذا يقترن اسم عشتار بالإغراء والمكر ، بالجمال والشرور ، ثم تستمر النظرة للأنثى على هذا النحو ، حتى تظهر قصة آدم وحواء في التوراة ، فجعلت من حواء رمزا للغواية والغباء ، فقد استطاعت الأفعى خداعها بسهولة ، ودفعها للأكل من الشجرة المحرّمة التي نهاها الربّ عن أكلها ونهى زوجها ، فأكلت وأعطت آدم فأكل ؛ فغضب الربّ عليهما وأخرجهما من الجنة[2] ، لقد مثلت قصة آدم وحوّاء - الواردة في التوراة - مرحلة تاريخية جديدة لصراع الذكورة والأنوثة ، وقد أضافت على سابقاتها صفات جديدة للأنثى وحذفت أخرى ، كما سيتبين لاحقا، ثمّ تأتي قصة سلسال ولمياء لتعطي صورة جديدة لهذا الصراع في العصر الحديث.

يظهر مما تقدم عدة أمور ،منها :

أولا: تقليص فاعلية الأنثى ، فبعد أن كانت الإلهة عشتار تصارع من أجل السلطة فتبعث واحدا إلى العالم الأسفل ، وتصير آخر ذئبا ، وتجعل الثالث ضفدعا ،وغير ذلك من صور الفاعلية الواضحة ، صارت حواء انسانة مجردة عن سمة القداسة لا فاعلية لها ، يقتصر فعلها على الإغواء ،كذلك لمياء تقلص دورها حد اقتصاره على الإغواء وارتكاب الحماقات فقط .

ثانيا :أشارت الأساطير التي تتحدث عن عشتار إلى مكرها ودهائها . نكن في قصة آدم وحواء سحب المكر والدهاء وحل محلّه الغباء الذي دفعها إلى ارتكاب المحرم دون تفكير مسبق ، وقد لطخت لمياء بهذه الصفة أيضا.

ثالثا بقاء صفة الجمال المقترن بالشر ، فبالجمال كانت عشتار تغوي

---

١جدل الأنوثة في الأسطورة :٧٧ .

٢ ينظر : الكتاب المقدس : سفر التكوين : الأصحاح الثالث :٦ .

عشاقها وتنتج من ذلك الإغراء الشرور، كذلك حواء أغوت آدم تمكان الطرد من الفردوس نتيجة صنعها ، وظلت هذه الصفة لصيقة بلمياء أيضا.

رابعا :الاتصال بالشياطين : صورت الأساطير اقتران عشتار بالشياطين عند خروجها من العالم الأسفل ، كان ذلك اقترانا مؤقتا ، ثمّ مع حواء حين تمثل لها بشكل أفعى ،غير ان الأمر صار أسوأ مع لمياء ، فقد سعت هي وراء الشيطان ( الكائن الشبيه بالطاووس) حتى خدعها ونقل لها أمراضه الخبيثة ، ثم دعاها إلى أرتكاب المحرم فاستجابت ، ويبقى الشيطان يلازمها إلى الأبد ، ودليل وجوده داخلها هو ذلك الريش الذي كسا جسدها ورائحة الكبريت التي تضوع من مسامها.

خامسا : اكتسبت لمياء صفة جديدة هي صفة العناد والعزة بالإثم ، فبعد ان كانت حواء نادمة على فعلتها ،بقيت لمياء على عنادها ولم تندم ، بل أنها حين طردت من جنان كانت ترقص فرحا.

يكشف ذلك مدى هيمنة الفكر الذكوري والنظرة العدوانية إلى المرأة.

## القراءة الثانية

المتتبع لروايات عبد الهادي الفرطوسي الخمس يحسّ أن شبح العولمة يهيمن على ثلاث منها هيمنة طاغية ، هي : "الرجل الآتي" و"الزمن الحديدي" و "ضوع الكبريت"، في هذه الروايات الثلاث تمتدّ أذرع العولمة وتتضخّم حتى تصير كابوسا يجثم على صدر الكاتب فكلّما أطبقت أصابع الجبروت على عنق الإنسانية أطلّ في مخيلته ذلك "الرجل الآتي" حاملا أشرعة العولمة ، هذا الذي جاء نتيجة خطأ في تجربة إشعاعية ، جعلت من هذا الجنين الذي جمع بين الأصول المتباعدة ، بين شراسة الوحوش وذكاء فاق ذكاء الإنسان، قادر على مخاطبة الحيوانات والسيطرة عليها ، وتسخيرها لتنفيذ مخطّطاته ، حتى يتسنّى له بسط نفوذه على الكرة الأرضية جمعاء .

حاول الفرطوسي – في "الزمن الحديدي"[1] – مغالبة يأسه ببصيص من الأمل ، خالقا في مخيّلته جبهة مضادة للسياسة التي وضعتها تلك العقول الآلية ، التي صنعها الإنسان بنفسه ، فاعتمد عليها حتى استفحلت ، وتحكّمت بمصائره ، جبهة تضع الإنسان في المرتبة الأولى تعتمد على طاقاته الذهنية والعضلية ، بعيدا عن الآلات والحضارات المزيفة والتقدّم الرجعي ، علّها تكسّر قيود ذلك "الزمن الحديدي" .

لكن حلمه الوردي هذا ذهب أدراج الرياح ، فسرعان ما عاوده اليأس وبزغ ذلك الغول لناظريه - في رواية "ضوع الكبريت" – لكنه هذه المرة لا حدود له، لا يرى بالعين، تصل أوامره عبر جسيمات كونيّة لا حصر لها ، قوي قدير ، لا يقوى على مخالفة أوامره أحد ، فصار الصراع مع المجهول .

ففي الرواية الأولى "الرجل الآتي"[2] كان ذلك الصنوبري الذي بسط نفوذه على الكرة الأرضية كلها ، ثمّ في الرواية الثانية "الزمن الحديدي" ظهر العقل الأكبر ، الذي قبض على جزء من الكرة الأرضية بيده الحديدية ، والجزء الآخر كان لأعدائه ، إلا أنه – في "ضوع الكبريت" – قد تضخّم وتضخّم حتى امتدّ سلطانه على الكون برمّته ، وما ذاك التناص الذي ساقه الكاتب بين قصة آدم وحواء وبين بطلي رواية "ضوع الكبريت" صلصال ولمياء إلا زيادة في الإيهام ، وإمعان في إخفاء كابوسه المفزع.

وهنا التقارب الصارخ بين القصّتين يدفع القارئ للوهلة الأولى إلى دلالة واضحة هي هجاء المرأة ،التي جرى الحديث عنها مفصلا في القراءة الأولى ،وبالرغم من وجود هذه الدلالة ، إلا أنها دلالة ثانوية ظاهرية ، حاول الفرطوسي

---

١الزمن الحديدي : رواية عبد الهادي الفرطوسي صدرت عام ٢٠٠١ عن دار إبداع.

٢ الرجل الآتي رواية عبد الهادي الفرطوسي صدرت عن دائرة الإعلام في الشارقة عام ٢٠٠٠

أن يخفي وراءها كابوسه المظلم ، الذي تومئ له مظاهر الافتراق بين القصتين.

أوّل هذه المظاهر : ما اتصف به عقل المجرة ، الذي وصفه الفرطوسي بالقدرة والقوّة وشدّة البطش ، لكنه قد جرّده من الرحمة والعدل ؛ إذ خسف الأرض بأهلها بغير وجه حقّ ؛ لأنهم تطوّروا لا لأنهم عاثوا في الأرض فسادا ، ولا أظنّه يخسفها إن فعلوا ؛ لأن همّه ألا يتطوّروا فيصلوا إليه .

تومئ هذه المفارقة بين عقل المجرّة ، الذي طرد صلصال ولميا من الكوكب جنان وبين الله سبحانه وتعالى الذي طرد آدم وحواء من الجنة إلى الدلالة العميقة لعقل المجرة ، إنها تشير إلى جبروت العولمة وسلطانها المرعب.

تظهر هذه القراءة تفاعلا نصيا ذاتيا، والتفاعل النصي - كماهو عند سعيد يقطين - العملية التي تجري بين البنيات النصية في علاقاتها ببعض، أما الذاتي فهو شكل من أشكال التفاعل النصي تتداخل فيه نصوص الكاتب الواحد في تفاعل مع بعضها[1]، إذ دخلت روايات الكاتب في تفاعل مع بعضها كاشفة عن هيمنة فكرة العولمة ، التي تحولت إلى أخطبوط امتدت أذرعه إلى معظم روايات الفرطوسي .

وعلى الرغم من هيمنة الفكر الذكوري بشكل واضح في رواية ضوع الكبريت وتهميش دور المرأة . كما تبين من القراءة الأولى- الا ان هذه الفكرة ليست هي الفكرة الأساسية التي نسجت حولها الرواية ، وإنما الهدف اعمق من ذلك بكثير ، ويظهر ذلك من إيماءات الكاتب بين الحين والآخر إلى وجود صراعات سياسية بين الشماليين والجنوبيين ، حتى بلغ ضيق الأف ق بقائد المركبة إلى الوقوع بالتهلكة ؛ نتيجة تمسكه بتلك الصراعات ، وشدة حنقه على الجنوبيين، فصار لا يرى عدوا سواهم ، فيقول : " إذن فالجنوبيون يتحدوننا

---

١ انفتاح النص الروائي :١٠٠ .

ويمنعوننا من مواصلة الرحلة[1] . حتى بعد أن يفصح العدو عن نفسه قائلا أنه الشرطي الكوني يرفض قائد المركبة التصديق، ويقول : " أ بهذه السذاجة يتصورنا الجنوبيون ، ما هذه الترهات التي يحاولون خداعنا بها ؟"[2] ، فلا يقتنع بوجود عدو غير عدوه الأرضي الذي من جنسه ، وهذا الموقف ينسحب على معظم الصراعات القائمة بين أبناء الأمة الواحدة ، فلا يرى أحدهم عدوا له غير أبناء جلدته ، مع أن عدوّه أكبر وأبشع ، ولو اتسع أفق قائد المركبة ولم يتغلب عليه حقده الأعمى للجنوبيين لتمكن من العودة وإخبار أهل الأرض بما حصل ، ومن يدري ؟؟ فربما يتمكنون من تلافي الكارثة ، ولما بقي قائد المركبة على عناده ولم يرتض غير الجنوبيين عدوا كانت النتيجة أن هلك ومن معه وخلف الهلاك لأهل الأرض شماليين وجنوبيين.

وحتى صلصال ، الشخصية الأكثر فاعلية في الرواية كان يعبر عن موقف سياسي انهزامي ، فبالرغم من رفضه لسياسة قائد المركبة ، لم يحرك ساكنا سوى الكلام ، وحين حدق بهم الخطر وصار الهلاك قاب قوسين أو أدنى ، لم يفكر صلصال الا بنفسه وخطيبته ،وآثر البقاء بالمركبة .

وما ذلك الصراع بين الأنوثة والذكورة في الرواية إلا صورة رمزية للصراع السياسي ، ولا يقتصر الأمر على الرواية وحدها بل يمتدّ الى الصراع التاريخي فهو بدوره شكل من أشكال الصراع السياسي ، وما تلك الهيمنة الذكورية إلا صورة لهيمنة الظلم والجبروت المغتصب لحقوق الضعفاء كان الذكر فيها القوي المغتصِب والأنثى هي الضعيف المغتصَب.

كل هذه المفارقات تؤكد وجود غاية سياسية ، الا أنها لم تكن ظاهرة ،

---

١ ضوع الكبريت : ١٤ .

٢نفسه : ١٥ .

بن توارت وراء الهيمنة الذكورية التي فصلت الحديث فيها في القراءة الأولى.

## المصادر


- الأسطورة : د. نبيلة ابراهيم : بغداد : الموسوعة الصغيرة :١٩٧٩ .
- انفتاح النص الروائي : سعيد يقطين: المركز الثقافي العربي :ط١ : ١٩٨٩ .
- تحليل النصوص الأدبية: عبد الله ابراهيم وصالح هويدي:بيروت - دار الكتاب الجديد :ط١ - ١٩٩٨ .
- تشريح النقد: نورثروب فراي:
- الرجل الآتي : عبد الهادي أحمد الفرطوسي : دائرة الإعلام : الشارقة :٢٠٠٠ .
- الزمن الحديدي: عبد الهادي أحمد الفرطوسي : النجف - دار إبداع :٢٠٠١ .
- سفر سومر : خزعل الماجدي :بغداد :١٩٩٠ .
- شعرية الرواية الفنتاستيكية: شعيب حليفي :المجلس الأعلى للثقافة :١٩٩٧ .
- ضوع الكبريت : عبد الهادي الفرطوسي : النجف - دار إبداع :٢٠٠١ .
- عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة :د. نائل حنون :بغداد - دار الشؤون الثقافية : ط٢ : ١٩٨٦ .
- علم النص : جوليا كريستيفا :ت -فريد الزاهي : المغرب - دار توبقال :ط١ -١٩٩١ .
- الفكر الديني القديم : تقي الدباغ :بغداد - دار الشؤون الثقافية : ط١ ١٩٩٢ .
- الكتاب المقدس .

- المتخيل السردي :عبد الله ابراهيم : المركز الثقافي العربي : ط1 – 1990 .
- ملحمة جلجامش : د طه باقر :بغداد – وزارة الثقافة والإعلام :1975 .

- المجلات والجرائد
- جدل الأنوثة في الأسطورة ( تيامات نفي الأنثى من التاريخ): لطفية الدليمي :الأقلام :آذار – نيسان / 2000 .
- دراسة في بلاغة التناص الأدبي: د.شجاع العاني :الموقف الثقافي :ع 17 / س3 /1998 .
- الميثولوجيا السومرية ' الخلق الأسطوري للكون' : خزعل الماجدي :أوراق : عمان :ع7-8 / 1998 .



*Abstract*

This research produced an analysis for the novel " Sulfur ` odor" for the novelist Abd ul Hadi ul Fartosi endeavoring to uncover the hidden meaning behind its formal structure. This novel acquired a semantic extension for it depended on science fiction. That is gives reason to be read twice readings: The first touched erotic ideology and satirizing female along all epochs. We can see this reading quite obvious on the novel. This research discussed the history of erotic ideology and female satirizing along all the epochs and related it with what appeared in the novel. This research found that the point of view toward the female as it appeared in the novel was with symbolic and political attitude. That had been an approach to the second reading that unveiled that the struggle between being male and being female was a cover for a deeper political struggle. That alluded to universality octopus and its horrible ghost.